المحاضرة الثامنة: الاتصال البيداغوجي (مرغريت آلتي)

مارغريت ألتيه (Marguerite Altet) هي باحثة فرنسية متخصصة في علوم التربية، عملت كأستاذة جامعية واهتمت بشكل خاص بالبيداغوجيا وتحليل الممارسات التعليمية، ركزت أبحاثها على التفاعل البيداغوجي ودور المعلم في الفصل الدراسي، كما درست استراتيجيات التدريس وتأثيرها على تعلم الطلاب.، وطورت مقاربات لتحليل الممارسات التربوية بناء على الملاحظة والتقييم، من أبرز كتبها *«La formation professionnelle des enseignants,»*، حيث تناقش فيه ممارسات التدريس الحديثة وديناميكيات التفاعل بين المعلم والطلاب وهو ما سنناقشه اليوم في هذه المحاضرة.

وفقا لـ Altet (1994, p.264) ترى أن البيداغوجيا هي جوهر مهنة التدريس، حيث تتمحور حول الإدارة التفاعلية لعملية التعليم والتعلم داخل الفصل، مع التركيز على دور المعلم وأساليبه التدريسية. كما ترى أن البيداغوجيا تهتم بكيفية الربط بين عمليتي التعليم والتعلم من خلال العلاقة الوظيفية بين المعلم والمتعلم.

وحسب ألتي (2002) فإن عملية التدريس هي نشاط جماعي نشط، يشترك فيه عدة أفراد، ويحدث بطريقة تلقائية، لكنه يبقى هادفًا نحو تحقيق تعلم التلاميذ (سعودي، 2016، ص 184).

هذا النشاط يحدث داخل وضعيات اتصالية بيداغوجية متنوعة، حيث تلعب التفاعلات اللفظية وغير اللفظية دورًا محوريًا في نقل المعرفة وبناء الفهم المشترك بين المعلم والتلاميذ.

ترى ألتي أن الوضعية البيداغوجية تمثل عنصرًا أساسيًا في العملية التعليمية، حيث تؤثر مباشرة على تفاعل المعلم والتلاميذ داخل الفصل. ويستخدم الباحثون عدة مصطلحات لوصف بيئة التعلم، مثل:السياق، الوسط، البيئة، الإيكولوجيا.

بناءً على ذلك، يمكن اعتبار الوضعية البيداغوجية بأنها الإطار التنظيمي الذي يحدده المعلم داخل الفصل، والذي تنشأ فيه التفاعلات الاتصالية بين المعلم والتلاميذ .أما السياق، فيشير إلى العوامل المؤسسية التي تؤثر على العملية التعليمية وتوجهها.

2-عناصر الوضعية البيداغوجية في إطار الاتصال البيداغوجي:

تتألف أي وضعية بيداغوجية من مجموعة من المكونات الأساسية التي تؤثر على عملية التواصل داخل الفصل، ومن أبرزها:

2-1-الظروف:

- المادة الدراسية.
- عدد التلاميذ داخل الفصل.
- تنظيم الزمن المدرسي.
- طبيعة الصفوف (هل هي خاضعة لاختبار نهائي أم لا؟).

2-2-وضعيات التعلم:

- طبيعة الأنشطة والمهام المسندة للتلاميذ.
- وجود وضعيات استهلاك معرفي (حفظ واسترجاع المعلومات) أو وضعيات مشكلات (تحليل، نقد، حل مشكلات).
- التحديات التي يتم تقديمها في سياق التعلم.

2-3-الشروط التنظيمية والاتصالية:

- أساليب إدارة التفاعل داخل الفصل.
- أنماط التواصل بين المعلم والتلاميذ (تواصل شفهي، مكتوب، إشاري).
- أساليب العمل الجماعي (مجموعات متجانسة أو متباينة).
- آليات تنفيذ المهام والإشراف عليها.
- إدارة موارد التعلم والوسائل التعليمية(Altet,1994,pp137,138).

كما يمكن تحليل خصوصية الاتصال البيداغوجي (التعليمي) انطلاقًا من:

- يحدث التفاعل في فضاء خاص، أي في إطار الفصل الدراسي حيث تحدد العملية التعليمية بعقد تعليمي بين المعلم والتلاميذ.

- هناك عقد كلامي ضمني بين المعلم، الذي يمتلك المعرفة، والتلاميذ الحاضرين للتعلم.
- تتجلى المكونات الخطابية في خصوصية الحوار التعليمي الهادف.

من خلال تحليل التفاعل، يمكننا فهم العلاقة بين التواصل والعوامل الأخرى في الموقف البيداغوجي بشكل أفضل. وكما كتب " M. Postic (1990): تسمح الدراسة المنهجية للتفاعلات بالبحث عما يحدث على المستوى الإجرائي (مثل أسئلة المعلم، أسئلة الطالب، إجابات الطالب، التدخلات العفوية، إلخ)، وكذلك على المستوى الضمني، خاصة من خلال التعبيرات العاطفية".

3-تحليل الاتصال البيداغوجي وفق النموذج التفاعلي:

حسب "Altet"يمكن فهم خصوصية الاتصال البيداغوجي من خلال:

- **فضاء التفاعل** :حيث يتم التواصل ضمن الفصل الدراسي بناءً على عقد بيداغوجي يحدد أدوار المعلم والتلاميذ.
- **العقد الكلامي الضمني** :يقوم على الاعتراف الضمني بأن المعلم يمتلك المعرفة، بينما يكون التلاميذ في وضعية اكتسابها.
- **المكونات الخطابية** :يظهر الاتصال في شكل حوار تعليمي هادف يهدف إلى بناء المعرفة.

إن أهمية التفاعل البيداغوجي داخل الفصل يساعد على فهم العلاقة بين الاتصال والعوامل المؤثرة في الوضعية البيداغوجية. وهو ما أشار إليه M. Postic (1990): "تسمح الدراسة المنهجية للتفاعلات بالبحث عما يحدث على المستوى الإجرائي (مثل أسئلة المعلم، أسئلة الطالب، إجابات الطالب، التدخلات العفوية، إلخ)، وكذلك على المستوى الضمني، خاصة من خلال التعبيرات العاطفية(Altet,1994,p74). ".

في الأخير يمكننا القول **أن** الاتصال البيداغوجي يلعب دورا محوريا في إنجاح العملية التعليمية، إذ يعتمد على مجموعة من الظروف والأنشطة وأساليب التنظيم التي تؤثر على ديناميكية التفاعل داخل الفصل. ومن خلال فهم مكونات الوضعية البيداغوجية، يمكن تطوير استراتيجيات فعّالة لتحسين التواصل وتحقيق أهداف التعلم بشكل أكثر فاعلية.